

لرعاية السجناء



جمعية التكافل

مكافحة

الإنجار بالبشر

## الشيخ : مساعد محمد مندني

### الإتجار بالبشر :

1 – المرابون الذين يتاجرون في مص دماء الفقراء والمساكين ، إن أكلة الربا لا يرفعون السلاح كما يرفعه قطاع الطريق، ولا يأخذون المال عنوة ؛ (ولكنهم يمتصون دماء الفقراء وهم يبتسمون لهم!! وينتهبون أموال الناس وهم يربتون على أكتافهم!!) إنها محاربة ماثلت في بشاعتها محاربة قطاع الطريق؛ ولكنها أوسع نطاقاً، وأكثر تنظيماً ومخادعة؛ ففاقت في انتشارها وقبحها رفع السلاح وانتهاب الأموال بالقوة؛ وقد قال الله تعالى محذراً منها: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين " 278 • فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " {البقرة: 278، 279}.

2 – الإتجار بالخدم " اذا كلفتموه بأمر لا يستطيع تنفيذه تواجه الخادمة شكلاً آخر شائعاً من العنف في سوق العمل عندما تمارس مهنة الخدمة في المنازل.

وتوصلت دراسة أعدتها جامعة كولومبو في سيريلانكا، التي تعد من أكثر دول العالم تصديراً للخدمات، الى أن 25% من الخدمات السيريلانكيات واجهن مشاكل من قبيل الاعتداء عليهن أو عدم دفع اجورهن خلال وجودهن في الخارج.

وتقول وزارة العمل السيريلانكية إن متوسط عدد الخادمت العائدات من الخارج بسبب تعرضهن للايذاء يبلغ 50 خادمة يومياً يرجعن وهن في حالة من المعاناة والانهيار.

وعلى سبيل المثال تبحت وزارة العمل في سيريلانكا قائمة طويلة من الشكاوي التي تقدمت بها خادمت سيريلانكيات عن تعرضهن للتعذيب اثناء عملهن.

ويطالب نشطاء حماية حقوق العمال في سيريلانكا حكومتها بوضع قائمة سوداء تدرج عليها أسماء اصحاب العمل الذين يتصرفون مع الخادمت بصورة مشينة ، لكن المشكلة ان تفشي البطالة والفقير في سيرلانكا يجعل العمل في الخارج هو المخرج الوحيد للكثيرات، بالرغم من كل ما فيه من ايذاء واضطهاد .

3 - استغلال المناصب ( حيث يسخر بعض أصحاب السلطة من تحتهم بسبب تسلطهم في مناصبهم لخدمتهم ، كما كان في السابق كيف يسخر العبد لمولاه ، وذلك لأمرين :

ا - إما لأن مستقبل العامل واستمراره بيد هذا المسؤول

ب - أو أنه قد أغدق عليه من الأموال مما قيّد بهل فلا يستطيع أن يرد له طلب

و كون الذي يدير العمل أما صاحب راس المال أو ينتمي إلى حزب معين أو جهة معينة وكون العامل إنسان بسيط لديه عائلة ويحاول المحافظة على عمله خوفاً من أن يجد نفسه في الشارع لذا هو يسعى بكل طريقة لأرضاء صاحب العمل ، ان الاضطهاد الذي يمارس على العامل يدفع به الشعور بالظلم الاندفاع والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى لرفع ودفع الظلم اذا كان الظلم أو مصدر الظلم قوي كونه لا يستطيع البوح بمشكلته إلى ل احد وليس له ثقة إلا بالله سبحانه تعالى الذي هو يمثل دائما جانب الخير أو يدفع به اليأس.

4 - ا - الاستغلال العمالة وذلك عن طريق أخذ مبالغ من المال مقابل اعطائه الجواز للتجديد ، أو أخذ رواتبهم وتسريحهم في الشوارع يتسكعون

ب - المتاجرة في اقامات العمالة ، حيث يقوم صاحب العمل المتسلط على رقاب العمال بأخذ مبلغاً خيالياً مقابل كل سنة تجديد للإقامة مما يضطر هذا العامل الى اللجوء الى السرقة أو غير ذلك لتحصيل هذا المبلغ

5 - من أنواع المتاجرة بالبشر هناك منظمة بلجيكية وفرنسية تسرق في تشاد 300 طفل ، وهناك في العالم وظيفتها أن تُخصّب النساء مقابل مبلغ من المال فحين ينجبن يترك الأباء عندهم فتقوم هذه المؤسسات بالمتاجرة بأعضاء هؤلاء من كبد وقلب وغيرها وتصدر الى العالم.

وفي فلسطين يضطر الإنسان بسبب فقره أن يتاجر بأعضائه حيث أن هناك 90 % خاصة في غزة يصل مستوى الفقر الى تحت الصفر ، وهناك من يعيش بمعدل دولارين في اليوم فيضطر بأن يبيع شيئاً من أعضائه كي يسد رمق العيش له ولأسرته .

وفي إحدى الدول العربية يكون بيع الجثث عن طريق سرقتها من الغرف التي توضع فيها الموتى ، وفي بعض الدول تشتري العائلة غرفة بحيث تكون لحدا لها فإذا أحد من العائلة يوضع في هذه الغرفة فيأتي سارقوا الجثث بفتح هذه الغرفة عنوة كأن يكسروا الباب أو تكسير الاسمنت فيسرقوا ما فيها من جثث التي لم يمر عليها يوم أو يومان فيبيعونها على المستشفيات والمختبرات العلمية.

## مفهوم الاتجار بالبشر :

التعريف بمفهوم الاتجار بالبشر علي أنه نوع من أنواع الاستعباد والاسترقاق والعمل القسري الذي حرمة الإسلام وتجنيد أشخاص ونقلهم أو إيوائهم بواسطة التهديد بالقوة واستغلال الأفراد في الممارسات البشعة بالرق أو الاستغلال الجنسي والسخرة.

و توضيح الأغراض وأنواع الاتجار بالبشر وتفشيها في الآونة الأخيرة باعتبار أنها تجارة مربحة تدر الأموال الطائلة علي المتاجرين بالبشرية سواء كانوا أطفالاً أو نساءً أو الخدم أو العمال من الجنسين وهي تدرج تحت هذه الأنواع الاتجار لأغراض جنسية والمستهدفون منها بالدرجة الأولى نساء وأطفال ، العمل الجبري أو السخرة وهي استغلال الأفراد في الأعمال دون دفع أجورهم وتشغيلهم جبراً مع دفع أجورهم.

و الأسباب المؤدية إلي انتشار ظاهرة الاتجار بالبشر ساعدت علي ظهورها ونمائها أهمها الظروف المادية الصعبة والحاجة، وكذلك الظروف المعيشية القاسية والفقير حيث أن لهما دوراً كبيراً في انخراط الضحايا في هذا المسار، وتفكك النظام الأسري وتصعد الأسر والحروب والكوارث والنزاعات المسلحة.

و أن لأي ظاهرة تنتشر في أي مجتمع لابد من أن يكون لها آثار سلبية، ومن الآثار المترتبة علي ظاهرة الاتجار بالبشر آثار نفسية، اقتصادية، اجتماعية ، ومن أشكال الاستغلال، استغلال الأطفال في التسول وألعاب السيرك وفي رواج المخدرات و سباقات الهجن .. وأثناء العرض تم التركيز علي هذه النقطة المهمة في تاريخ دولة قطر حيث أن المكتب ساهم بصفة إيجابية في منع انتشار هذه الظاهرة الخطرة علي الأطفال وكذلك علي نماء المجتمع ويعارض ما تناشد به الدولة من حماية لحقوق الإنسان وعمل علي أن يتم مغادرة الأطفال إلي بلادهم ليخضعوا للعلاج والالتحاق بالصفوف الدراسية.

و الاتجار بالبشر يعتبر جريمة في حق الإنسانية سنت دولة قطر تشريعات وقوانين تجرم مرتكبي هذه الفاحشة والمواثيق الدولية تشدد علي أنه إذا وقع ضحايا الاتجار بالبشر فلا بد من رعايتهم و تأهيلهم ومساعدتهم، لهذا تم إنشاء الدار القطرية للإيواء والرعاية الإنسانية لإيواء ضحايا الاتجار وهم الأطفال، النساء، الخدم، ومن في حكمهم.

قرون طويلة من العذاب والنضال البشري للقضاء على العبودية والرق تكلت بإقرار اتفاقيات دولية و سن تشريعات وقوانين لحماية الإنسان من العبودية بجميع أشكالها .. مما ساهم باندثارها بصورتها التقليدية .. لكن أتضح بعد ذلك أن خلال النصف الثاني من القرن المنصرم .. انتشرت العبودية بصور وأشكال جديدة وإن كانت ماتزال موجودة بشكلها التقليدي حتى اليوم ببعض الدول .. مما حدا بالجهود الإنسانية التطوعية والرسمية على حد السواء بتكثيف جهودها للقضاء على العبودية بأشكالها وصورها الحديثة .. والتي تعرف ب "الرق المعاصر" ..

## جهود النبي صلى الله عليه وسلم في مكافحة الرق والاتجار بالبشر :

لقد كانت دعوة رسول الله ﷺ دعوة لحرية الإنسان، والقضاء على عبودية البشر للبشر، فقرر الحرية الإنسانية وجعلها من دلائل تكريم الخالق للإنسان، وأولى اهتماماً خاصاً للعبيد، فضيق ﷺ مصادر الاسترقاق ووسع منافذ التحرير، ورغب الناس في تحرير العبيد، وأخبر أن من أعتق عبداً أعتق الله له بكل عضو عضواً من أعضائه من عذاب النار يوم القيامة.

وقد بين المستشرق الألماني "آدم متز" أن العتق يُعدّ مبدأ من مبادئ الإسلام، فيقول: "كان في الإسلام مبدأ في مصلحة الرقيق، وذلك أن الواحد منهم كان يستطيع أن يشتري حريته بدفع قدر من المال، وقد كان للعبد أو الجارية الحق في أن يشتغل مستقلاً بالعمل الذي يريده.. وكذلك كان من البر والعادات المحمودة أن يوصي الإنسان قبل مماته بعتق بعض العبيد الذين يملكهم"

.. بل رفع ﷺ من شأن العبيد حتى جعل سيدنا محمد ﷺ -كما يقول المفكر النصراني نظمي لوقا-: "العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش!

"ومن هنا وقفت قيادات قريش الأرستقراطية في وجه الدعوة التي ترنو إلى تحرير العبيد وتنادي بالمساواة التامة بينهم وبين السادة، ولقد كانت قيادات مكة تساوم قائد الدعوة على طرد هؤلاء العبيد مقابل إقرار قيادات مكة بالإسلام، ومن ثم نزل القرآن الكريم محذراً رسول الله أن يترك العبيد أو أن يطردهم، وهم الذي بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الدعوة، ويدعون ربهم الواحد الأحد صباحاً ومساءً، يريدون ببذلهم وجه الله تعالى، لا يبتغون منصباً أو جاهاً كما يبتغي غالبية السادة.. فقال الله تعالى: {وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28]، إن هؤلاء العبيد -في الشرع الإسلامي السامح- هم أعظم قيمة وأكثر بركة وأرق أفئدة وأطهر نفساً، من هؤلاء السادة الذين يستعبدون الناس، ويتجربون في الأرض بغير الحق.. هؤلاء العبيد نزل من أجلهم الأمر من السماء إلى رائد الدعوة ﷺ بأن يضعهم في عينيه! بل نزل التحذير من الله لرسوله ﷺ من أن يلتفت عن العبيد إلى زينة الكبراء، أو أن يتلهى عن العبد ويطيع السيد المارق.

أما العبيد فقد وجدوا الكرامة والحرية، في تعاليم الإسلام الإصلاحية، وفك رقابهم من طوق الفقر والذل، وخلصهم من عبادة الحجارة وسياط السادة. بل جعل منهم سادات المسلمين، حتى أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعليقا على حادثة شراء أبو بكر لبلال بن رباح رضي الله عنهما ليعتقه من الرق فقال: "سيدنا وأعتق سيدنا!

## "تعاليم نبوية في تحسين أوضاع العبيد :

إن المتأمل في التوجيهات النبوية يجدها تشي بالجهد الجهد الذي بذله نبي الإنسانية في سبيل تحسين أوضاع العبيد والإماء ويعرف بحق كيف كانت مكرمة العبيد في

الإسلام. وهذه بعض التوجيهات النبوية التي نذكر بعضها منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: وصيته  $\rho$  بالعبيد والإماء:

كان آخر كلمات النبي  $\rho$  وهو يجود بروحه الشريفة، وقد حضره الموت، الوصية بالعبيد والإماء.. فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان آخر كلام رسول الله  $\rho$ : "الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيامكم"! إنه يوصي بالعبيد، وهو في سكرات الموت! فهو الذي احتضنهم حياً، وأوصى بهم بعد مماته خيراً، فكان خير معلم لهم وخير أب وخير محرر.

ثانياً: تحذيره  $\rho$  من إيذاء العبيد والإماء:

فكان يغضب أشد الغضب من ضرب العبيد أو إيذائهم فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: كنت أضرب غلاماً لي؛ فسمعتُ من خلفي صوتاً: "اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ.. لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ!" فالتفتُ فإذا هو النبي! فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله تعالى. قال: "أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَعْتِكَ النَّارُ أَوْلَمَسْتِكَ النَّارُ"

هكذا كان رسول الله يربي تلاميذه، ويفقه شعبه، على احترام آدمية الناس، وخاصة الضعفاء منهم والعبيد والخدم والأجراء.

ويمتد هذا النداء الأبوي إلى حكام المسلمين في كل زمان ومكان؛ فيلزمهم بحماية العبيد من التعذيب أو الاضطهاد، فضلاً عن السعي الجاد لتحريرهم.

ثالثاً: أمره  $\rho$  بالإحسان إلى العبيد والإماء:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألطف الناس بالعبيد، وأرفق الناس بالإماء، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله  $\rho$  من أشد الناس لطفًا! والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه!! وما سأله سائل قط إلا أصغى إليه أذنه فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده إلا ناوله إياها فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه".

وعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالبردة، وعليه حلة وعلى غلامه حلة [يعني من نفس الثوب] فسألته عن ذلك. فقال: إني ساببت رجلاً، فعيرته بأمه [قال لعبد: يا ابن السوداء] فقال لي النبي  $\rho$ : "يا أبا ذر! أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية! إخوانكم خولكم [العبيد والإماء هم إخوانكم في الدين والإنسانية]، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده: فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".

فحرم السخرية من العبيد أو الاستهزاء بألوانهم أو أنسابهم، كما حرم إجهاد العبد في الخدمة، وأوجب مساعدته إذا كُلف ما يغلبه.. وحذر الفقهاء من استعمال العبيد على الدوام ليل نهار ، فقالوا: إذا استعمل السيد العبد نهاراً أراحه ليلاً، وكذا بالعكس، وقالوا: يريحه بالصيف في وقت القيلولة، ويمنحه قسطه من النوم، وفرصة للصلاة المفروضة. وإذا سافر به يجب عليه أن يحمله معه على الدابة أو يتعاقبان على البعير ونحوه.

بل قالوا: "إن كان العبد ذمياً فقد ذكر بعض الفقهاء أنه لا يمنع من إتيان الكنيسة، أو شرب الخمر، أو أكل لحم الخنزير؛ لأن ذلك دينه، نقله البناني عن قول مالك في المدونة"

وتأمل معي قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن عير العبد: "إنك امرؤ فيك جاهلية" .. دلالة على أن صفة من يهينون العبيد ويؤذونهم بالقول أو الفعل، فوصفهم بالجهل، وربطهم بعصور الجاهلية، وعهود التخلف.

رابعاً: تحريك الجهود الشعبية لمكافحة الاسترقاق:

شغل الرق سلمان الفارسي رضي الله عنه حيناً من الزمن.. فقد كان مولى عند أحد الوجهاء، حتى فات سلمان عدداً من المشاهد مع الرسول الكريم ﷺ، منها بدر وأحد. فذهب إلى سيدنا محمد ﷺ. فأشار عليه النبي ﷺ أن ي كاتب سيده، فكتبه على ثلاثمائة نخلة يغرسها له وأربعين أوقية من ذهب.

وشارك المسلمون في أداء هذا الدين عن سلمان، فأحضروا له النخل وحفروا معه أماكنها، وقدم رسول الله ﷺ ووضع بيده الشريفة وعُتق سلمان.

وكانت أول مشاهدته غزوة الأحزاب، وكان هو صاحب فكرة إنشاء خندق عظيم حول المدينة لتحصينها من الغزاة.. ولما نجحت الفكرة، زاد تقدير الناس لسلمان؛ نظراً لرجاحة عقله، وجهده في خدمة دولة الإسلام بفكرة الخندق، فقال الأنصار: سلمان منا! وقال المهاجرون: سلمان منا!.

فقال سيدنا محمد ﷺ: "سلمان منا أهل البيت!!"

وهكذا ارتفع شأن العبيد في دولة الإسلام بجهدهم وخدمتهم للمجتمع، ولم تكن عبوديتهم أيما يوم من الأيام تشينهم بين إخوانهم المسلمين.

وفي ذلك أيضاً النموذج العملي الذي حشد فيه النبي ﷺ جهود شعبه من أجل تحرير عبد. وهو بذلك يلزم المجتمع بضرورة تضافر الجهود الشعبية لفك الإنسان من الرق.

خامساً: سن قاعدة "كفارة ضرب العبد عتقه":

شرع الإسلام منفذاً لتحرير العبيد عن طريق سن قاعدة "كفارة ضرب العبد عتقه" والذي لم يكن موجوداً أيام الجاهلية، فمنح حق الحرية للعبد إذا ضربه سيده.

فعن أبي صالح دُكْوَانَ عن زَادَانَ قال: أتيتُ ابن عمر، وقد أعتق مملوكاً له، فأخذ من الأرض عوداً أو شيئاً، فقال: مالي فيه من الأجر ما يسوى هذا.. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ"

سادساً: كفالة الدولة الإسلامية للعبد المعاق أو المريض:

فلقد كان لزنباغ أبو روح رضي الله عنه - أحد الصحابة- عَبْدٌ يُسَمَّى سَنَدْرَ بْنَ سَنَدَرَ، فوجده يقبل جارية له، فقطع ذكْرَهُ وَجَدَعَ أَنْفَهُ، فَأَتَى الْعَبْدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزنباغ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟" قَالَ: فَعَلَ كَذَا وَكَذَا. فذكر له ما فعل بالجارية!.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعبد: "اذهبْ فَأَنْتَ حُرٌّ" فقال العبد: يا رسول الله فمولى من أنا؟ فقال: "مولى الله ورسوله" .. فأوصى به المسلمين؛ فلما قبض جاء العبد إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: وصية رسول الله ﷺ، فقال: نعم، تجري عليك النفقة وعلى عيالك، فأجراها عليه حتى قبض.. فلما استخلف عمر رضي الله عنه جاءه فقال: وصية رسول الله ﷺ قال: نعم، أين تريد؟ قال: مصر، قال: فكتب عمر إلى صاحب مصر أن يعطيه أرضاً يأكل منها!!.

فالدولة -في الشرع الإسلامي- تكفل أصحاب الإعاقات من العبيد، -كما رأيت- كالمواطنين الأحرار، وقرر لهم الراتب المالي الدوري الذي يغنيهم عن التسول أو سؤال الناس.

#### فرية سن الاسترقاق:

ورغم جهود سيدنا محمد ﷺ في تحرير العبيد فإن بعض الحاقدين زعموا أن محمداً ﷺ سن الاسترقاق! ونحن نترك العلامة "لايتنر" يرد على هذه الفرية، فيقول: " .. إنا نرى الأغبياء من النصارى يؤاخذون دين الإسلام كأنه هو الذي قد سنَّ الاسترقاق، مع أن محمداً ﷺ قد حضَّ على عتق الرقاب، وهذه أسمى واسطة لإبطاله حقيقة" ..

كذلك يتحدث الكاتب الفرنسي "فانسان مونتنيه"، مستنكراً هذه الافتراءات، فيقول: "إنهم يتهمون الإسلام بظاهرة الرِّقِّ التي وُجِدَتْ قبل الإسلام وليس بعده، بل حين انتشر الإسلام وطُبقت تعاليمه كان يسعى لإلغاء الرِّقِّ، بل إن كثيراً من الكفَّارات للذنوب التي يقدم عليها المرء هو تحرير الرقاب الذي عدَّه الإسلام تقرباً وطاعة لله" ..

ويتحدث المفكر الإنجليزي "كويليام" عن هذه الروايات التي اختلقها الحاقدون، وزعموا أن محمداً ﷺ، سن الاسترقاق والخناسة.. فيقول:

"إن روايات كهذه مجردة بالمرّة عن الحقيقة، لا يمكن تصديقها وتصور وقوعها" .. ويدلل على حقيقة أن محمداً ﷺ له الفضل في القضاء على الخناسة في الجزيرة العربية، فيضرب مثلاً بمناطق شرق ووسط إفريقيا التي تفتت فيها مظاهر الخناسة والاسترقاق، ويبين أن السبب في تفشي هذه المظاهر في هذه المناطق هو "لأن الإسلام لم يدخل فيها!! وبرهان ذلك أن الإسلام من خصائصه إبطال الخناسة إبطالاً دائماً!!" ..

رغم أن تجار النخاسة والرق -كما يقول إدوار بروي- كانوا "من الأوروبيين"..  
ومن ثم.. "توقفت حركة التطور في البلدان [الإفريقية] على أثر العبث الذريع الذي  
أحدثه في تلك الأرجاء تجار النخاسة والرق من الأوروبيين"!!.

وإذا قيل: إن الإسلام لم يبلغ الرق والاتجار بالبشر إلغاءً كاملاً رغم عظم مجهودات  
نبي الإنسانية  $\mu$  في مكافحة الاسترقاق.. فجواب ذلك أن الدولة الإسلامية وحدها لا  
تستطيع أن تقضي تماماً على عادة الاسترقاق والاتجار بالبشر، وذلك لعدة أسباب  
وجبهة ومنطقية..

السبب الأول: أن مظاهر الاسترقاق والاتجار بالبشر كانت متأصلة ومنتشرة في  
المجتمعات الإنسانية، العربية وغير العربية، منذ قديم الزمن، فكان على الشرع  
الإسلامي -كعادته- أن يستخدم التدرج في القضاء على المنكرات والأعراف الفاسدة،  
فضيق منافذ الاسترقاق ووسع أبواب العتق.

السبب الثاني: أن هذه العادات كانت قبل ظهور الإسلام بمثابة الأعراف الدولية، فقد  
كانت جميع الدول والإمبراطوريات -دون استثناء- تمارس الاسترقاق والاتجار  
بالبشر، ومن ثم فإن القضاء

على الرق يحتاج إلى اتفاق دولي عام، يلزم الجميع بمنع الاسترقاق أو الاتجار  
بالبشر.. ومعلوم أن الدولة الإسلامية أيام حضرة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن  
من القوة والانتشار بالقدر الذي يسمح لها بمنع هذه العادات.

السبب الثالث: أن الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام، وإذا أصدرت الدولة قراراً بمنع  
الرق؛ فسوف يقع حرج شديد على هؤلاء الناس الذين أصبحت تجارتهم وأعمالهم  
تقوم على كاهل هؤلاء العبيد.. فكان على النظام الإسلامي أن يأخذ بمبدأ التدرج في  
منع الاسترقاق والاتجار بالبشر.

السبب الرابع: أن الدولة الإسلامية لم تكن تمتلك من الإمكانيات الاقتصادية والمالية  
بحيث تتمكن من كفالة هؤلاء العبيد بعد تحريرهم، أو حتى توفير فرص عمل لهم  
جميعاً، فمن المعروف أن العبيد كانوا في كفالة أسيادهم، يطعمون من مال السادة،  
ويحترفون لهم في مهنتهم..

#### تحريم الاتجار بالبشر:

ومن دلائل مكافحة الاسترقاق في الشرع الإسلامي، تحريمه لكافة صور ومظاهر  
الاتجار بالبشر، وخاصة النساء والأطفال الأحرار.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه  
عن النبي  $\mu$  قال: "قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ،  
وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ".

فجعل الاتجار بالبشر من أبواب الخيانة والغدر والظلم، والله عز وجل خصم لجميع  
الغادرين إلا أنه أراد التشديد على هذه الأصناف الثلاثة، فقد ارتكبوا جرماً شنيعاً  
يتعلق بحقوق الإنسان، فأحدهم غدر بأخيه الإنسان، فعاهده عهداً وحلف عليه بالله ثم

نقضه، والثاني باع أخاه الإنسان الحر، والثالث أكل مال أخيه الإنسان الأجير، وهو داخل في إثم المتاجرة بالبشر كالثاني؛ لأنه استخدمه بغير حق، وخالف الأمر النبوي: "أعطِ الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه".

وجريمة الاتجار بالبشر -التي حرمها الشرع الإسلامي الفضيل- تتسربل بصور عديدة مارستها المجتمعات الجاهلية في القديم والحديث.. فمارستها قبائل العرب ودول الفرس والرومان قبل بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، فكانوا يقطعون الطرق على الأحرار، فيسرقون أموالهم ويبيعونهم في أسواق النخاسة على أنهم عبيد.. وفي العصر الحديث مارس الأمريكان هذا السلوك الجاهلي مع الزوج، فخصصوا الهيئات التي تبيع وتشتري فيهم، وهم أحرار، ومارسوا أبشع صور التمييز العنصري في حقهم. إضافة إلى ظهور جماعات المتاجرة بالأطفال والنساء؛ لغرض الاستغلال الجنسي التجاري، ناهيك عن استغلال هذه الجماعات للكوارث الطبيعية والحروب لممارسة نشاطها، وخير شاهد ما حدث في كارثة تسونامي وما أعلنته الصحف عن أرقام مفزعة للنساء والأطفال الذين تم الاتجار بهم في ظل هذه الكارثة الإنسانية، الأمر نفسه حدث مع ضحايا الشعب المسلم في البوسنة والهرسك بعد ما أعمل فيه الجيش الصربي الذبح، فتم بيع آلاف الفتيات والأطفال على مرأى ومسمع من العالم (المتحضر).. وتحولت البلدان الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية إلى مراكز كبرى للاتجار بالبشر من جانب العصابات المنظمة التي تحصد سنويًا ما بين 8 و10 مليارات دولار من الاتجار بالأطفال والنساء، وذلك وفقًا لإحصائيات وزارة العدل الأمريكية... بيد أن الشرع الإسلامي الكريم حرّم بيع الأحرار، وناهض تجارة البشر بالبشر، وحرّم إكراه الفتيات على ممارسة البغاء فقال الشارع الحكيم: "وَلَا تُكْرَهُوا قَنَائِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" [النور: 33].

إلى جانب أن جريمة الاتجار بالبشر تنتهك حق الإنسان في الحرية، وتنتهك حقوق الأطفال والنساء في العيش في بيئة آمنة صالحة، فهي تنزعهم من أسرهم ومن بين آبائهم وأمهاتهم إلى

جحيم الاستغلال الجنسي والسخرة والتعذيب النفسي والجسدي.. وكلها مظاهر حرمها الإسلام وحاربها نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

هكذا كان المنهج النبوي في التعامل مع مظاهر الاسترقاق والاتجار بالبشر؛ ليسجل أمام الله تعالى

ثم التاريخ أن النظام الإسلامي هو أول نظام في تاريخ البشرية ناهض الاسترقاق وحارب المتاجرة بالبشر.

## الرق المعاصر وعبيد القرن الحادي والعشرين :

تقرير صادر عن الأمم المتحدة يبين استفحال مشكلة الاتجار بالبشر :  
كشفت منظمة العمل الدولية بجنيف(1) مؤخراً في أحدث تقرير لها عن أعداد رهيبية لظاهرة عبودية العصر الحديث والاتجار بالأشخاص وبيع الناس والأطفال وإرغامهم على العمل ونقلهم من بلد إلى آخر لأنشطة على رأسها إجبارهم على ممارسة الفواحش وتجارة الجنس والاشتراك في الحروب بألوان جديدة من الجريمة المنظمة يندى لها جبين البشرية.

ويُعرف بروتوكول الأمم المتحدة الاتجار بالبشر بأنه: تجنيد ونقل وإيواء أو استقبال الأشخاص من خلال وسائل التهديد أو استخدام القوة أو غيرها من أساليب الإكراه والاختطاف والتزوير والخداع وسوء استخدام السلطة أو موقف ضعف أو إعطاء أو استلام دفعات مالية أو خدمات للحصول على موافقة الشخص على أن يسيطر عليه شخص آخر من أجل استغلاله.

ويتضمن الاستغلال في حده الأدنى استغلال الأشخاص للعمل في البغاء أو أية أشكال أخرى من الاستغلال الجنسي والإجبار على الجنس التجاري، أو الإكراه على العمل أو الخدمات، أو العبودية، أو ممارسات مشابهة للعبودية، أو الأشغال الشاقة الإجبارية، أو إزالة الأعضاء البشرية للاتجار فيها.

ويتم الاتجار بالملايين من البشر، وتزدهر تجارة عبودية القرن الحادي والعشرين التي تلبى الطلب العالمي على العمالة الرخيصة والضعيفة، بسبب دوافع إجرامية، وصعاب اقتصادية، وحكومات فاسدة، وتفتت اجتماعي، وعدم استقرار سياسي، وكوارث طبيعية، ونزاع مسلح كما تمول عملية الاتجار بالبشر المنظمات الإجرامية الدولية، وتعزز فساد الحكومات، وتقلل من شأن القانون.

### أرباح التجارة :

وتقدر هيئة الأمم المتحدة أن الأرباح الناجمة عن الاتجار بالبشر، تحتل المركز الثالث من مصادر دخل الجريمة المنظمة، أي بعد الاتجار بالمخدرات والأسلحة. وفي كل عام يتم شراء البشر وبيعهم أو إجبارهم على تخطي الحدود الدولية ومن بينهم مئات آلاف من الفتيات المراهقات وغيرهن ممن يبلغن فقط الخامسة من العمر اللاتي يصبحن ضحية لتجارة الجنس وهذه المتاجرة بالحياة البشرية تدر المليارات من الدولارات كل عام، والتي يُستخدم معظمها لتمويل الجريمة المنظمة وللأسف تشترك هيئات مثل قوات الأمم المتحدة في كوسوفا( 2) في إشعال فتيل نقل الأفراد وتجارة الجنس.

وتقول منظمة العمل الدولية( 1) أن هناك 12.3 مليون ضحية يرغمون على العمل في العالم، منهم 2.4 مليون شخص يتم بيعهم ونقلهم من أوطانهم (جدول 1). وينقسم

ضحايا الاستغلال في العمل والاتجار والنقل إلى 43% بغرض البغاء والاستغلال الجنسي، و 32% بغرض العمل القسري، و 25% بالأمرين معاً. وتبلغ قيمة الدخل الذي يحصله الأشخاص والمنظمات والعصابات من جراء نقل وبيع البشر أكثر من 31.6 مليار دولار في العام (جدول 2) أما ضحايا تجارة الجنس الإجبارية فنسبة الإناث فيهم 98%، والذكور 2%. أما المستغلون للعمل الإجباري فالإناث يشكلن 56%، والذكور 44%.

وتشكل النساء من مجمل ال 800 ألف شخص يتم الاتجار بهم سنوياً، عبر الحدود الدولية نسبة 70% فيما يشكل الأطفال نسبة 50%. وتقع غالبية هؤلاء النساء والفتيات فريسة لتجارة الجنس. ويتم إجبار الضحايا على العمل في الدعارة أو في المصانع والمزارع والخدمة المنزلية وفي صفوف الأطفال المجندين، وفي أشكال عديدة من الأشغال الشاقة الاستعبادية الإجبارية، كما تعتبر ظاهرة سياحة جنس الأطفال المتنامية شكلاً من أشكال هذا الاستغلال. ويدعم هذه الجريمة ضعف تطبيق القوانين، وشبكة الإنترنت، وسهولة التنقل، والفقر.

#### إحصاء صعب :

لقد انتشرت ظاهرة البغاء انتشاراً كبيراً خلال الثلاثين سنة الماضية، وأصبح الملايين يعملون بتجارة الجنس من النساء ملايين يصعب إحصاؤهن. أما الأعداد التي تم حصرها، فهي أقل بكثير من الواقع حيث تبلغ مليوني امرأة وفتاة يعملن في هذه المهنة في تايلاند ونصف مليون في الفلبين وثلاثة أرباع المليون في إندونيسيا، و 10 ملايين في الهند، مليون في أمريكا، 70 ألفاً في فيتنام ومثلها في إيطاليا، 30 ألف في هولندا، 200 ألف في بولندا، 200 ألف في ألمانيا.

وتقدر منظمة اليونيسيف أن مليوناً و 200 ألف طفلة جديدة وطفل جديد يجبرون على البغاء كل سنة(3). وفي صناعة الجنس هناك 400 ألف طفل في الهند، 100 ألف في الفلبين، 300 ألف في تايلاند، 100 ألف في تاوان، نصف مليون في أمريكا اللاتينية، 325 ألفاً في الولايات المتحدة.

ويقول التقرير إن العدد إذا شمل الأطفال في (كل صناعة الجنس) فسيفقر العدد إلى 2.4 مليون طفل في الولايات المتحدة، ويستمر التقرير ذاكراً في الصين نصف مليون، البرازيل ما بين نصف مليون إلى مليونين، أما في كمبوديا فثلث المومسات عمرهم أقل من 17 سنة. تقول بعض الدراسات إنه من الممكن خلال عام واحد يتعرض طفل واحد إلى بيع عرضه والاعتداء عليه 2000 مرة.

وتقول منظمة اليونيسيف إن 1500 رضيع من "جواتيمالا" في أمريكا الوسطى يُهرَّبون كل عام لبيعهم للأسر العاقرة في أوروبا وأمريكا الشمالية، وتباع البنات في سن 13 سنة من آسيا وأوروبا الشرقية الإن

وتنقل أعداد كثيرة من الأطفال داخل قارة إفريقيا(3).

إن الاتجار بالبشر جريمة كبرى وانتهاك لحقوق الإنسان، وهو يخرق حق الإنسان الشامل في الحياة والحرية والتحرر من العبودية بجميع أشكالها، والاتجار بالأطفال

يلغي حاجة الطفل الأساسية لينمو في بيئة آمنة، ومن حقه في التحرر من كل أنواع الإيذاء.

ويدفع ضحايا الاتجار بالبشر ثمناً مخيفاً يتمثل في الإيذاء الجسدي والنفسي بما في ذلك الإصابة بالأمراض والتعرض للأمراض الجنسية المعدية ومنها فيروس الإيدز، وإعاقة النمو الذي غالباً ما يترك أثراً دائماً ويتم نبذهم من قبل عائلاتهم.

ويكون استغلال الضحايا أحياناً مستفحلاً؛ إذ يتم الاتجار بالأطفال ليعملوا في أعمال معينة ثم يجرى استغلالهم لأشياء أخرى.

**تجارة العبودية:** ففي نيبال، يتم إجبار الفتيات اللواتي تم تجنيدهن للعمل في مصانع السجاد وفي الفنادق وفي المطاعم، على دخول صناعة الجنس في الهند لاحقاً، وفي الفلبين وغيرها من الدول، فإن الأطفال الذين هاجروا للعمل في الفنادق ومجال السياحة، غالباً ما ينتهي المطاف بهم في المواخير. إن حقيقة تجارة العبودية المعاصرة البشعة تتمثل في أن الضحايا غالباً ما يتم شراؤهم وبيعهم عدة مرات.

وبعد.. ما أحوج العالم اليوم لأن يصرخ فيه صارخ المسلمين بالكلمة الخالدة للخليفة العادل عمر بن الخطاب: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"، فقد اهتم الإسلام منذ بزوغه بتحرير الإنسان من كل ألوان العبودية ومن أدران الشرك وطلاسم الأوثان وعبودية الإنسان للإنسان سواء كانت عبودية الطاعة العمياء أو عبودية تملك البدن.

وشرع الإسلام تشريعاته الرحيمة لتغلق باب الرقيق الذي كان ينتشر قبل الإسلام، وأصبح تحرير العبيد والإماء المعروف بفك الرقبة وسيلة للتقرب إلى الله وطريقة للتخلص من الذنب أو كفارة للخطأ أو الخطيئة وسهماً من أسهم الزكاة.. لقد كان الإسلام بحق محرر العبيد.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبما رجل أعتق امرأ مسلماً استتقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار" (البخاري).

ومن دلائل مكافحة الاسترقاق في الشرع الإسلامي، تحريمه لكافة صور ومظاهر الاتجار بالبشر، وخاصة النساء والأطفال الأحرار.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ~ صلى الله عليه وسلم ~ قال " : قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ "

فجعل الاتجار بالبشر من أبواب الخيانة والغدر والظلم، والله عز وجل خصم لجميع الغادرين إلا أنه أراد التشديد على هذه الأصناف الثلاثة، فقد ارتكبوا جرماً شنيعاً يتعلق بحقوق الإنسان، فأحدهم غدر بأخيه الإنسان، فعاهده عهداً وحلف عليه بالله ثم نقضه، والثاني باع أخاه الإنسان الحر، والثالث أكل مال أخيه الإنسان الأجير، وهو

داخل في إثم المتاجرة بالبشر كالثاني؛ لأنه استخدمه بغير حق، وخالف الأمر النبوي: "أعطِ الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه"

وجريمة الاتجار بالبشر - التي حرمها الشرع الإسلامي الفصيل- تتسربل بصور عديدة مارستها المجتمعات الجاهلية في القديم والحديث.. فمارستها قبائل العرب ودول الفرس والرومان قبل بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، فكانوا يقطعون الطرق على الأحرار، فيسرقون أموالهم ويبيعونهم في أسواق النخاسة على أنهم عبيد.. وفي العصر الحديث مارس الأمريكان هذا السلوك الجاهلي مع الزنوج، فخصصوا الهيئات التي تبيع وتشتري فيهم، وهم أحرار، ومارسوا أبشع صور التمييز العنصري في حقهم. إضافة إلى ظهور جماعات المتاجرة بالأطفال والنساء؛ لغرض الاستغلال الجنسي التجاري، ناهيك عن استغلال هذه الجماعات للكوارث الطبيعية والحروب لممارسة نشاطها، وخير شاهد ما حدث في كارثة تسونامي وما أعلنته الصحف عن أرقام مفرعة للنساء والأطفال الذين تم الاتجار بهم في ظل هذه الكارثية الإنسانية، الأمر نفسه حدث مع ضحايا الشعب المسلم في البوسنة والهرسك بعد ما أعمل فيه الجيش الصربي الذبح، فتم بيع آلاف الفتيات والأطفال على مرأى ومسمع من العالم (المتحضر).. وتحولت البلدان الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية إلى مراكز كبرى للاتجار بالبشر من جانب العصابات المنظمة التي تحصد سنويًا ما بين 8 و10 مليارات دولار من الاتجار بالأطفال والنساء، وذلك وفقًا لإحصائيات وزارة العدل الأمريكية... بيد أن الشرع الإسلامي الكريم حرّم بيع الأحرار، وناهض تجارة البشر بالبشر، وحرّم إكراه الفتيات على ممارسة البغاء فقال الشارع الحكيم: "ولما نُكِّرْهُوا فَنَيَّائِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَعُنَّوَا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا { [النور: 33].

إلى جانب أن جريمة الاتجار بالبشر تنتهك حق الإنسان في الحرية، وتنتهك حقوق الأطفال والنساء في العيش في بيئة آمنة صالحة، فهي تنزعهم من أسرهم ومن بين آبائهم وأمهاتهم إلى جحيم الاستغلال الجنسي والسخرة والتعذيب النفسي والجسدي.. وكلها مظاهر حرمها الإسلام وحاربها نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

هكذا كان المنهج النبوي في التعامل مع مظاهر الاسترقاق والاتجار بالبشر؛ ليسجل أمام الله تعالى ثم التاريخ أن النظام الإسلامي هو أول نظام في تاريخ البشرية ناهض الاسترقاق وحارب المتاجرة بالبشر

**شاب يقع في مصيدة تجار أعضاء البشر لبيع كليته في القاهرة**

عاد مهديا بالفشل الكلوي

يقع الشاب العشريني الفقير في مصيدة بائعي الاعضاء البشرية فيسافر تحت وقع رقم الألفي دولار الى القاهرة التي تنتزع فيها كليته ليعود الى الاردن بمضاعفات مرضية يخشى ان تصل الى الفشل الكلوي.

ولم يكد يحصل الشاب (خ) على ثمن كليته التي باعها في مصر حتى ذهب المبلغ مصاريف إقامة ومواصلات هناك، فضلا عن علاج في الأردن اثر ترددي حالته الصحية بعد عملية الانتزاع التي خضع لها في احد مستشفيات القاهرة.

يقول الشاب الذي يوضح انه بات مهددا بمضاعفات مرضية بينها الفشل الكلوي انه باع كليته بعد تلقيه اغراءات وسيط اردني قبل شهر كان أبرزها مبلغ الفي دولار، اضافة الى تكاليف العملية والمواصلات والإقامة في فندق خمس نجوم في القاهرة ثلاثة أيام.

ويوضح انه تفاجأ بثلاثة شبان رافقوه في الرحلة كان الوسيط (ز. ز) قد اتفق معهم حول الموضوع ذاته فاستقبلهم في نوبيع ليذهب بهم الى مستشفى في العاصمة المصرية حيث اجريت العملية.

وقال ان هذا الوسيط جاء الى المستشفى في اليوم التالي وابلغنا بضرورة مغادرة المستشفى مباشرة، زاعما ان حالتنا الصحية لا تستدعي البقاء فيه، فضلا عن "الخشية من المساءلة الامنية اذا ما بقينا لفترة أطول فخرجنا".

وأضاف "بعد الخروج من المستشفى دفع الوسيط لكل واحد منا مبلغ الف دولار بحجة ان نصف المبلغ الباقي ذهب مصاريف مواصلات وإقامة في المستشفى، واعدنا انه سيدفعه لنا في الاردن اذا ما استطعنا ان نقنع آخرين ببيع كلاهم".

ويؤكد الشاب ان حالة احد الشبان الذين التقاهم في مصر تردت وأصيب بفشل كلوي بعد شهرين من العودة الى الاردن، وهو الآن يغسل كليته ثلاث مرات في الاسبوع في احد المستشفيات الحكومية. وعبر عن خشية من ان يصاب هو أيضا بفشل كلوي.

ويشير (خ) الذي استغل الوسيط فقره المدقع الى ان ثمن الكلية يتراوح بين الف دولار ويصل الى 2000 دولار في حال كان الشخص يحمل زمرة دم نادرة.

الا ان "خ" يؤكد ان عددا من الذين باعوا كلاهم تحولوا الى وسطاء عبر الوسيط الأول "ز. ز" الموجود في مصر، وهو ممنوع من دخول الاردن على خلفية قضايا أمنية كما اخبرهم.

ويقول "وعدنا الوسيط بتقاضى 200 دولار عن كل شخص نجلبه لبيع كليته من اصحاب زمر الدم المتوفرة و 300 دولار عن كل شخص من اصحاب زمر الدم النادرة".

ويؤكد الشاب العشريني انه لم يقم بأي وساطة لبيع الكلى بعد العملية التي أجريت له بسبب قناعته بأن ما جرى له هو عملية خارجة عن القانون، وهو ضحية لنصابين محترفين يقومون بالاتجار بأعضاء البشر.

وينصح الشباب خصوصا من الفئات الفقيرة بالبحث عن مصادر رزق قانوني وعدم التساهل مع سماسرة بيع الكلى المتواجدين "بكثرة" في الاردن.

من جانبه يقدر رئيس الجمعية الاردنية لأمراض الكلى الدكتور محمد غنيمات عدد الأشخاص الذين قاموا ببيع كلاتهم خلال العام الماضي بين 100 الى 120 شخصا، مشيرا الى ان الرقم الذي أعلنته وزارة الصحة هو عدد الاشخاص الذين تم ضبطهم فقط.

ولا يجيز القانون الاردني التبرع بالكلى الا في حالة الأقارب من الدرجة الاولى او الثانية او في حالات التبرع العاطفي أي التي تجري بين الأزواج فقط، وفقا لغنيمات.

ويلفت غنيمات (مستشار امراض وزرع الكلى) الى ان المشكلة في حالات التبرع في الخارج هي عدم اجراء الفحوصات المخبرية الوافية للمريض والمتبرع مثل فحص تطابق الأنسجة والاكتفاء بفحص تطابق الدم، مؤكدا على ان ضرورة اجراء فحوص تحتاج في العادة لمدة تتراوح بين أسبوعين الى ثلاثة أسابيع للمريض والمتبرع قبل اجراء العملية.

ويؤكد ان خمسة أشخاص من الذين باعوا كلاتهم في دول مجاورة أصيبوا بفشل كلوي بعد فترة تراوحت ما بين 6 اشهر الى عام، كما ان عددا من المرضى الذي زرعو كلاتهم في تلك الدول لم تنجح عملياتهم ورفضت أجسامهم الكلى الجديدة لعدم وجود تطابق في الأنسجة ما بين المريض والمتبرع.

ويوضح غنيمات ان عدم وجود تطابق في الأنسجة ما بين المريض والمتبرع يؤدي بنسبة تفوق 50 في المائة الى رفض الجسم للكلى وبالتالي فشل عملية الزرع، لافتا الى ضرورة اجراء عدد كبير من الفحوص قبل اجراء عملية النقل والزرع للمريض والمتبرع حتى يضمن نجاح العملية وعدم ترتب مضاعفات صحية على المتبرع في المستقبل.

ويشير الى ان الدول التي تمارس بها عمليات بيع الكلى هي دول لديها قانون مشابه للقانون الاردني في منع بيع الكلى الا للأقارب من الدرجة الاولى او الثانية، معتبرا ان المشكلة تتركز في الجدية في تطبيق هذا القانون في تلك الدول حيث تغض المستشفيات فيها ولا يطلب إثبات القرابة بين المتبرع والمريض.

ويؤكد غنيمات الذي عين عضوا في اللجنة الوطنية العليا لتشجيع زراعة ونقل الأعضاء التي شكلها وزير الصحة مؤخرا على إمكانية الاستفادة من كلى الأشخاص

المتوفين دماغيا في حال موافقة ذويهم، مشيرا الى ان عدد الوفيات في حوادث السير يتراوح بين 600 الى 700 وفاة سنويا وهي فئة يمكن من خلالها حل مشكلة اكثر من 1200 حالة فشل كلوي سنويا.

ويشير الى ان عدد الحالات المصابة في الفشل الكلوي في الاردن لا تتجاوز 2392 حالة يمكن زراعة كلى جديدة لهم في حال تبرع ذوي المتوفين دماغيا جراء حوادث السير خلال ثلاث سنوات على ابعد تقدير.

ويطالب غنيمات الحكومة بتشديد العقوبات على "سماسة" بيع الكلى وعدم الاكتفاء بالغرامات المالية والسجن لمدة قصيرة حتى تكون العقوبة رادعة.

ويشدد على ضرورة رفع مستوى وعي المواطنين وخصوصا الفئات الفقيرة ومرضى الكلى بالمخاطر الصحية والقانونية لبيع زراعة الكلى بالطرق الملتوية، لافتا الى ان الدور الرئيس يقع على وسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني والجامعات في التوعية لتلك المخاطر.

وتهدف اللجنة وفقا لمقررها الدكتور مؤمن الحديدي في تصريحات صحافية الى "الحد من ظاهرة متاجرة (بيع) الأعضاء وخاصة الكلى"، إلى جانب "تشجيع المواطن على التبرع بأعضاء المتوفين وتحويل أحزان ذويهم إلى نقطة مضيئة عندما يتم إنقاذ حياة غيرهم من الموت".

ويأتي قرار تشكيل اللجنة بعد أيام على كشف وزير الصحة الدكتور سعد الخرابشة عن تقرير رسمي رصد 81 حالة بيع كلى في المملكة تركز معظمها في مخيم البقعة بمحافظة البلقاء.

وخلص التقرير الذي كشف عنه الخرابشة في رد على سؤال نيابي إلى أن "بيع الأعضاء ليس عملا منظما"، وإلى أن عمليات "الاستئصال لغايات بيع الأعضاء تتم خارج المملكة"، وكانت أكثريتها (67.9%) في العراق، ومصر (13.5%).

كما بين التقرير "أن بائعي كلاهم في الأردن (...) هم من الشباب الذكور، ومنهم 55% تقل أعمارهم عن 31 سنة، فيما كان 46.9% منهم متزوجين".

وأشار الخرابشة إلى أن نحو 60% من بائعي كلاهم "أنهوا المرحلة الإعدادية (الأساسية العليا حتى الصف العاشر) من التعليم"، موضحا أن 43.2% منهم ينتمون لأسر فقيرة "فقرا مطلقا".

وكشف عن أن الأجهزة الأمنية قامت بتحويل عدد من المتورطين في هذا الموضوع إلى القضاء، فضلا عن التضييق على بعض "الوسطاء الذين غرروا بالشباب".

وأشار الخرابشة إلى أن وزارة التنمية الاجتماعية "قامت بدراسة الحالات بشكل معمق ومفصل تمهيدا لمساعدة من يحتاج المساعدة من أسر المبحوثين ممن ليس لهم سوابق، ولم يشجعوا غيرهم على بيع الأعضاء"، موضحا أن وزارة الصحة "قامت بمعالجة من يراجع مستشفياتها ممن يعانون من المضاعفات بعد إجراء عمليات جراحية لهم".

وشدد الخرابشة على أن الحكومة "ستستمر بمتابعة الموضوع مع كافة الجهات المعنية واتخاذ كافة الإجراءات للحد من هذه الظاهرة".

وقال الحديدي في تصريح سابق لـ "الغد" إن اللجنة ستجري مسوحات جينية ومخبرية للمرضى الذين يحتاجون فعليا إلى زراعة كلى في المملكة، لافتا إلى "إمكانية زراعة 200 كلية سنويا".

ووفق الحديدي، انبثقت لجنة فرعية عن اللجنة الوطنية العليا لتشجيع نقل زراعة الأعضاء البشرية بهدف بناء قاعدة معلوماتية حول واقع مرضى الفشل الكلوي في المملكة، وإعداد تعليمات خاصة تستهدف تشجع ذوي المتوفى دماغيا على التبرع بأعضائه إلى جانب إلزام المستشفيات الإبلاغ عن حالات المتوفين دماغيا.

وتوقع الحديدي الانتهاء من إعداد التعليمات الشهر المقبل، معتبرا أن إقناع ذوي المتوفين دماغيا بالتبرع بأعضائهم، ولا سيما الكلى والقرنيات، "سيقضي على تجارة الأعضاء البشرية".

وأشار إلى أن فريقا "طبيا وشرعيا"، يضم طبيبا شرعيا وجراح أعصاب وطبيب تخدير، سيستدعى لعيادة المتوفى دماغيا لإقرار حالته الطبية، والسعي لإقناع ذويه بالتبرع بأعضائه.

وتتكبد الحكومة نحو 34 مليون دينار سنويا لإجراء عمليات غسيل كلى مجانية لنحو ألفي مريض يعانون فشلا كلويا تاما.

وتضم اللجنة الوطنية العليا للتبرع بالأعضاء وزير الصحة رئيسا ومدير الخدمات الطبية ومركز الأميرة رانيا لزراعة الأعضاء ونقابة الأطباء وممثلين عن المستشفيات الجامعية ورئيس الجمعية الأردنية لأمراض الكلى وممثل عن وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، إلى جانب المركز الوطني للطب الشرعي وقطاع المستشفيات الخاصة وأطباء استشاريون في أمراض زراعة الكلى.

وباشرت وزارة الصحة أخيرا إنشاء وحدة خاصة لزراعة الأعضاء في مستشفى الأمير حمزة، وفقا للحديدي، الذي قال إن هذه الوحدة تعتبر الأولى من نوعها لدى القطاع العام.

وتوقع الحديدي أن "تبدأ الوحدة بعمليات زراعة الكلى قريباً بعد أن أوفدت فريقاً طبياً كاملاً إلى أحد أهم مراكز زراعة الكلى في تركيا لغايات التدريب على هذه العمليات".

### **بسبب الانتفاضة: منع العائلات الإسرائيلية من تبني أطفال من الخارج !!!**

عدة دول أوروبية شرقية بما في ذلك روسيا وأوكرانيا قامت بحظر والامتناع عن إصدار الرخص المطلوبة للسماح للعائلات الإسرائيلية بالتبني الدولي، أي منع العائلات الإسرائيلية من تبني أي طفل من هذه الدول .

وحسب صحيفة إسرائيلية يومية فإن هذا القرار جاء نتيجة الخوف على سلامة وصحة الأطفال بسبب تردي الأوضاع الأمنية في الدولة العبرية بسبب الانتفاضة في الأراضي الفلسطينية. هذا وقد ذهبت نيعاما تال المفتشة القومية الحكومية والمسؤولة عن عملية التبني الدولي إلى روسيا من أجل إقناع المسؤولين للعدول عن قرار المنع، إلا أن كل محاولاتها باءت بالفشل. وصرحت تال لصحيفة "جيروساليم بوست" بالقول: " لم تكن عملية تبني الأطفال بتلك العملية الصعبة منذ تأسيس مؤسسة التبني الدولية ". وفي السنتين الماضيتين قامت الأزواج الإسرائيلية بتبني حوالي 800 طفل من خارج إسرائيل .

وكانت الأغلبية الساحقة من الأطفال تحت سن الثانية وكان معظمهم من رومانيا وأوكرانيا وروسيا .

وفي الوقت الحالي وفي دولتي بلاروس وكولومبيا قام عدد من القضاة المحليين بإصدار أمر يمنع أو يحول دون إتمام إي معاملة لتبني أطفال. وقد أدى ذلك لترك الكثير من العائلات الإسرائيلية تلك الدول والعودة لدولتهم دون أخذ الطفل الذين قاموا بدفع كل الأموال المطلوبة لتبنيه .

وحوالي قبل ست سنوات ، قررت الحكومة الإسرائيلية إجراء تعديل في قوانين التبني حيث تم السماح لمؤسسات وهيئات غير حكومية أن تقوم بمساعدة الأزواج بتبني الأطفال من دول خارج إسرائيل .

وحسب مصادر إسرائيلية فإن هذا التعديل الذي تم في عام 1996 قد ملأ أو سد الفراغ في قوانين التبني التي لم تزود الهيكلية القانونية أو الخدمات الخاصة للأزواج الذين يودون تبني أطفال من دول أخرى .

هذا ويعود سبب لجوء الأزواج الإسرائيلية لتبني الأطفال من دول في الخارج إلى النقص الحاد في الأطفال الموجودين في إسرائيل لغرض التبني. فعلى سبيل المثال وفي عام 1996 كان هناك حوالي 75 طفلاً للتبني مقابل حوالي 1500 عائلة تريد أن تتبناهم! وبدون المساعدة القانونية من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية التي احتكرت " سوق التبني " ، لا يوجد مفر للكثير من الأزواج إلا أن يسافروا لخارج البلاد والوقوف في شباك الغشاشين والمحتالين الذين يقومون بعمليات تبني مزورة. ومنذ إقرار عملية التغيير والتعديل، فقد حصلت تلك المنظمات أو المؤسسات الغير حكومية على التصاريح والرخص المطلوبة للعمل مع الحكومات

الأجنبية لمساعدة الأزواج لتبني أطفال من دول أوروبا الشرقية وروسيا وأميركا الجنوبية .

وفي سياق متصل وبخصوص الأطفال، كشفت مؤخرا وسائل الإعلام العبرية أن الشرطة الإسرائيلية ألقت القبض على شبكة متخصصة في تهريب نساء من دول شرق أوروبا والجمهوريات التي كانت تشكل الاتحاد السوفياتي السابق بغرض استخدامهن كمصانع "إنتاج أطفال"؛ حيث يتم بيعهن لأسر يهودية لا تنجب .  
وحسب ما ذكرته هذه الوسائل، فإن الشبكة المذكورة تقودها محامية إسرائيلية مرموقة، حيث يغزر أفراد الشبكة بنساء من أوروبا وروسيا ويتم جلبهن إلى إسرائيل، بحجة العمل في مشاريع سياحية وفنادق، وما إن تطأ أقدامهن المطار حتى يتم اقتيادهن إلى منزل خاص بهؤلاء النساء؛ حيث يتم إجبارهن على الحمل بالإكراه، ويمكنن طول فترة الحمل في المنزل الذي هو أشبه بالسجن، وبعد أن يضعن يتم بيع الأطفال للأسر اليهودية التي لا تنجب مقابل مبالغ كبيرة من الأموال. وبعد عملية الإنجاب، يتم إجبارهن على الحمل مرة أخرى لكي يتم بيع مزيد من الأطفال .

وأعدت وسائل الإعلام العبرية إلى الأذهان قيام عصابات إسرائيلية بتهريب فتيات من روسيا وشرق أوروبا لكي يعملن في تجارة الجنس، حيث يتم تضليلهن بوعدهن بالعمل في القطاع السياحي. كما ثبت تورط العديد من العصابات الإسرائيلية في تجارة الأطفال، حيث قامت بتهريب الأطفال من البرازيل إلى إسرائيل في العام الماضي؛ بغرض بيعهم في إسرائيل لأسر لا تنجب الأطفال. كما أن العديد من الأطباء اليهود ثبت تورطهم في الاتجار بأعضاء الجسم البشري.

دول الخليج العربية تتصدى لمشاكل الاتجار بالبشر

تقرير وزارة الخارجية يقيم جهود مكافحة الاتجار بالبشر في جميع أنحاء العالم

من ديفد شلبي، المحرر في نشرة واشنطن

واشنطن، 6 حزيران/يونيو، 2006 - تم ترفيع ثلاثة من دول الخليج العربية من مرتبة أسوأ المنتهكين إلى الفئة المتوسطة في تقرير الاتجار بالبشر للعام 2006 الذي أصدرته وزارة الخارجية الأميركية .

فقد تم شطب اسم الكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة من الفئة الثالثة، وهي أسوأ تصنيف، وضمها إلى "لائحة المراقبة" في الفئة الثانية في تقرير الوزارة الجديد إلى الكونغرس، الذي صدر في 5 حزيران/يونيو، 2006 .

ويقيم التقرير جهود الحكومات الأجنبية في القضاء على الاتجار بالبشر، مصنفاً الدول في أربع فئات على أساس الجهود التي تبذلها لكبح الاتجار بالبشر، ولمقاضاة الضالعين في تلك التجارة، ولدعم ومساعدة ضحايا هذه الجرائم .

وتصنف الحكومات التي تنطبق عليها المعايير التي تم وضعها في قانون حماية ضحايا الاتجار بالبشر للعام 2000 في الفئة الأولى. أما الفئة الثانية فتضم الدول التي تثبت التزاماً بمعالجة مشاكلها ولكنها لم تبلغ مستوى المعايير الدولية بعد. وتضم "لائحة المراقبة" في الفئة الثانية الدول التي تبدي دلائل على التخلف، في حين تصنف الحكومات التي لا تبذل جهوداً ملحوظة للتقيد بالمعايير الدولية في الفئة الثالثة . ولم يبق من دول الخليج العربية سوى المملكة العربية السعودية في الفئة الثالثة .

وتشكل الدول الخليجية العربية مقصداً مألوفاً للأسويين من جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا الذين يعملون في الخليج كخدم في المنازل وعمال غير مهرة. وكثيراً ما يقع هؤلاء العمال ضحايا للعمل القسري وساعات العمل المفرطة الطول وعدم تلقي الأجور والإيذاء الجسدي والاستغلال الجنسي والاستيلاء على جوازات سفرهم. وجاء في التقرير أيضاً أن هذه الدول كانت تتسامح إزاء الاتجار بالأحداث كي يعملوا كخيالة (جوكي) في سباقات الإبل .

وقد رحب التقرير بالإجراءات المقترحة في الكويت بتوحيد المعايير في عقود خدم المنازل وأشاد بالتزام الحكومة بسن تشريعات من شأنها أن تجعل استغلال العمال الأجانب جريمة. وقد عهدت الكويت خلال العام الماضي إلى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بمهمة تنسيق نشاطات الحكومة الخاصة بمكافحة الاتجار بالبشر .

وجاء في تقرير وزارة الخارجية الأميركية أن الكويت اتخذت أيضاً خطوات نحو تطبيق إجراءات مكافحة الاتجار بالبشر من خلال تطبيق حظر على خيالة الإبل الأحداث في سباقات الإبل ومقاضاة بعض أصحاب العمل لخرقهم قوانين العمل. وقال التقرير إن جمعية من وكالات توظيف العمال الكويتية اتخذت خطوات للدفاع عن حقوق العمال الأجانب .

وفي ما يتعلق بقطر، قال التقرير إنها تصدت لمشكلة الاتجار بالأحداث من خلال إعادة العديد من خيالة (جوكي) الإبل الأطفال إلى أوطانهم الأصلية. كما أنها أسست

مأوى لخدم المنازل الذين تعرضوا لسوء المعاملة واستحدثت خطأ هاتفياً خاصاً لتلقي الشكاوى .

وحظرت الإمارات العربية المتحدة عادة استخدام الأطفال كخيالة في سباقات الإبل وأعدت جميع الضحايا الذين تم تحديد هويتهم إلى أوطانهم الأصلية. وقد أطلقت الإمارات العربية المتحدة والكويت حملات توعية شعبية مناهضة للاتجار بالبشر .

وقد ظلت المملكة العربية السعودية مصنفة في الفئة الثالثة لعدم استعدادها للتصدي لمشكلة الاتجار بالبشر. وقال التقرير إن المملكة تقوم أحياناً بإلقاء القبض على الضحايا ومعاقبتهم وترحيلهم من البلد بدل حمايتهم .

### تعريف الرق .. وأشكال الرق المعاصر ..

لو عدنا للاتفاقية الخاصة بالرق والتي وقعت في سبتمبر 1926 وعدلت في ديسمبر 1953 .. سنجد تعريفاً للرق وتجارته بمادتها الأولى والتي تنص على أن :

الرق .. هو حالة أو وضع أي شخص تمارس عليه السلطات الناجمة عن حق الملكية .. كلها أو بعضها ..

تجارة الرقيق .. تشمل جميع الأفعال التي ينطوي عليها أسر شخص ما أو احتيازه أو التخلي عنه للغير على قصد تحويله إلى رقيق .. وجميع الأفعال التي ينطوي عليها احتياز رقيق ما بغية بيعه أو مبادلته وجميع أفعال التخلي .. بيعاً أو مبادلة عن رقيق تم احتيازه على قصد بيعه أو مبادلته .. وكذلك .. عموماً .. أي اتجار بالأرقاء أو نقل لهم ..

ولم يخرج الرق المعاصر عن هذا التعريف .. رغم تطور صورته وأشكاله ومن أبرزها :

### الاتجار بالبشر ..

يجوب النخاسون المعاصرون المدن والقرى الفقيرة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وأوروبا الشرقية لتوفير جميع متطلبات زبائنهم المستعدين دوماً لشراء الأطفال أو النساء أو ذكور في مقتبل العمر .. لاستغلالهم في أعمال السخرة \* وخدمة المنازل و التسول وترويج المخدرات و المشاركة في الحروب والصراعات المسلحة .. وأيضاً في تجارة الأعضاء البشرية والاستغلال الجنسي المنظم .. المنتشر بشكل مرعب نظراً لازدهار أسواق الدعارة .. وتزايد الطلب فيها على الأطفال والفتيات الصغيرات أكثر من النساء الراشحات لعدة أسباب .. أهمها إمكانية استغلالهن لفترة زمنية أطول .. ولشيوع اعتقاد ببعض الأقاليم عن إمكانية تجنب الإصابة بمرض الايدز وعلاجه من خلال معايشة عذراء صغيرة !!

ورغم انتشار هذه الأشكال من التجارة البشرية في معظم دول العالم .. إلا أن هناك طلب خاص لبعض دول الخليج العربي بهذا السوق المزدهر .. يحرص النخاسون المعاصرون على توفيره من دول عرفت بفقرها الشديد وسوء أوضاعها المعيشية مما يسهل عليهم شراء الأطفال دون التاسعة من ذويهم العاجزين عن إطعامهم .. مع تقديم وعود سرايية من النخاسين بتوفير طعام وأوضاع معيشية أفضل لأبنائهم .. لكن المؤلم أن أسيادهم بالخليج .. يستخدمونهم كراكبي هجن بالسباقات .. ويحرصون على تجويعهم لإبقاء أوزانهم منخفضة .. فضلاً عن تعرضهم المستمر للضرب خلال التدريب وتعرضهم أيضاً لإصابات خطيرة كالكسور والكدمات .. نتيجة لسقوطهم من الهجن .

صورة بشعة من صور السخرة \* .. وجريمة بحق الطفولة والإنسانية .. بأن يعرض طفل دون التاسعة للتغريب والتهجير من كنف والديه وحنانهم ويحرم من التعليم والرعاية الصحية اللازمة لسلامة نموه .. ويضرب ويجوع ويتعرض للربح والخوف الشديد خلال ركوب الهجن .. ليحظى سيده وحده بالمتعة والمال والجوائز القيمة .. ولا عزاء للعبد الصغير !!

ويعمد النخاسون المعاصرون على إتباع عدة طرق لتوفير متطلبات سوق الرقيق النشط .. من خلال الخطف أو الخداع عن طريق تقديم وعود بتوفير فرص عمل محترمة و بعد وصولهم يجدون أنفسهم مجبرين على العمل بالبغيء ..  
التبني الكاذب ..

وهي إقدام بعض الأشخاص بتبني أطفال أيتام بهدف استغلالهم لتنفيذ أعمال شاقة من دون مقابل مادي .. وهي صورة أخرى من صور السخرة\* ..  
عبودية الدين ..

وهي اضطرار شخص مدين لبيع جهوده دون مقابل منصف لسداد دينه ..  
عبودية العمل ..

وهي قيام العامل بأعمال فوق طاقته بمقابل مادي غير منصف .. ولساعات طويلة بدون أجر إضافي .. أو يوم للراحة .. بالإضافة لتعرضه لانتهاكات إنسانية أخرى من إيذاء جسدي وإهانات وتقييد للحرية ..

وبعد تعرفنا على مصطلح الرق والاسترقاق .. وتسليط الضوء على أشكاله المعاصرة .. أردت الإشارة إلى أن اهتمامي بالإنسان .. وحقه بالحياة الكريمة والحرية الكاملة بتقرير مصيره ليست السبب الوحيد لطرحي موضوع الرق المعاصر بهذا الوقت بالذات .. وإنما لاستهجائي على الإعلام الكويتي الميت بشقية المرئي والمكتوب لإهماله الكامل لليوم العالمي للقضاء على الرق والذي يقام ب 2 من ديسمبر من كل عام .. والسعي لتوعية المواطنين و المطالبة الجادة من الحكومة بتنفيذ وعودها ضد ممارسات الرق المعاصر بالكويت .. والذي صنفت بسببه ضمن الفئة الثالثة والتي تعتبر الأدنى .. ضمن تقرير الاتجار بالأشخاص بالعالم .. في الوقت الذي سعت قطر المصنفة أيضاً ضمن الفئة الثالثة .. على بذل جهود جادة لتحسين أوضاعها .. مما ساهم بارتقاء تصنيفها للفئة الثانية .. وأيضاً

اعتراف الحكومة الموريتانية بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على الرق .. بوجود  
العبودية بصورتها التقليدية والمعاصرة حتى اليوم بموريتانيا بعد إنكارها دوماً  
لوجودها .. وزجها لكل صحفي أو ناشط بحقوق الإنسان يتطرق للعبودية بالسجن  
.. وأعلنت تشكيل لجنة للقضاء على مظاهر الرق بموريتانيا ..  
ولكن لو تساءلنا عن إمكانية كسر قيود الرق المعاصر .. من خلال الجهود الدولية  
المحلقة بجناحيها الرسمي والتطوعي نحو الحرية ؟ فيجب علينا أولاً الرجوع  
لأساس المشكلة .. وهي العبودية التقليدية .. ونبحث في أسباب نشوءها .. سنجد  
أنها نشأت لدوافع اقتصادية واجتماعية .. والتطور الاقتصادي الحالي وانعكاسه  
على الحياة الاجتماعية سيحمل في طياته تجديد للعبودية في أشكال وصور أخرى  
تحددها الأوضاع الاقتصادية والظروف الاجتماعية والوعي المرتبط بحقوق  
الإنسان .. ولذلك فهي قابلة للتجدد والظهور بأنماط متغيرة .. طالماً الفقر والجهل  
بأقيان وحقوق الإنسان تنتهك .. ولذلك يجب علينا مجارات تجدها والسعي للحد  
من انتشارها وانتهاكاتها من خلال تقديم الضمانات والتأمينات الاجتماعية للقائمين  
بهذه الأعمال والحرص على تحديث التشريعات والقوانين للمحافظة على هذه  
الضمانات ..

-----  
السخرة : كلفه عملاً لا يريد به بلا أجر وقهره وتسلط عليه

## المرابون يتاجرون في مص دماء الفقراء والمساكين :

بناء النفس والأسرة، وبناء المجتمع والأمة لا يكون إلا باكتساب، ولا اكتساب إلا بعمل. والعمل لا يكون إلا بالتعامل مع الآخرين، سواء كان العمل والاكتساب مشروعاً أم غير مشروع، أخلاقياً أم غير أخلاقياً.

وأحكام الإسلام لم تكن كمنظريات الاشتراكيين التي ألغت الملكية الفردية، وقتلت أبناءها، وأدت بهم إلى العطالة والبطالة. وهي كذلك ليست رأسمالية تعطي الحرية المطلقة في الأموال ليسحق الأقوياء الضعفاء، ويكونوا بمثابة العبيد والخدم لهم، والعمال لديهم. كلاً! ليست أحكام الإسلام في التعاملات كذلك؛ إذ ازننت بين حق الفرد في الملكية الخاصة وبين حاجة المجتمع بما يحقق التقارب والألفة والأمن، فأعطت الفرد حق تنمية ماله بالكسب المشروع، ولم تحرمه من ابتكارات في التجارة ما دامت في حدود الحلال. وفي الوقت ذاته أغلقت تشريعات الإسلام منافذ الاستبداد المالي، والاحتكار التجاري، واستغلال الطبقات الفقيرة وحاجتها إلى المال، وفتحت أبواب الإحسان والقرض والصدقة، والمضاربة المشروعة.... إلخ.

وفي هذه المقالة عرض لبعض آثام الربا الشرعية، وأضراره الدينية والدنيوية؛ تلك الكبيرة من الذنوب التي عمت وطمت في العصر الرأسمالي، وتمت عولمتها قبل عولمة أي شيء آخر؛ إذ إن الربا انتشر في كل بلاد العالم انتشار النار في الهشيم منذ عشرات السنين، أي قبل أن يتحدث الناس عن العولمة. ومع بالغ الأسف فإن انتشار هذه الجريمة النكراء هُوّن وقعها على القلوب؛ حتى ألفتها فلم تعد تنكرها؛ بل صار الإنكار على من ينكرها في عصر أصبح الباطل فيه حقاً ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن كان يظن أن هذه الكبيرة المقيتة ستوجد لها المسوغات وتوضع لها المبررات؟ وممن؟! من شيوخ معممين يحملون أعلى الإجازات العلمية في الدراسات الإسلامية، ويتربعون على سدة مناصب الإفتاء في بلادهم.

وأضحت اليوم كثير من المعاملات المحرمة بالأمس تصنع لها المخارج الشرعية، وتتحول تدريجياً من دائرة الحرمة المغلظة إلى الأخف إلى المشتبه، إلى مسائل خلافية يجيزها بعض ويحرمها الأكثر، ثم العكس يجيزها الأكثر ويحرمها بعض، حتى يخفت صوت المُحرّم لها شيئاً فشيئاً فتصبح حلالاً.

ولإقناع جمهور الأمة التائه في غابة تلك التعاملات التي تخرج لنا الآلة الرأسمالية

كل يوم منها عشرات الصور، عمدت كثير من صروح الربا المشهورة التي تحاد الله ورسوله وتعلن الربا صراحة إلى إقناع الواقفين على عتباتها مترددين بفتاوى تجيز بعض أساليبهم وتعاملاتهم. تصورها وتوزعها وتعلقها على جدران الصرح الربوي الشامخ؛ وإنما لمهزلة أن يكون سند من يجاهر بحرب الله ورسوله فتوى خطتها أنامل من يدعو إلى الله تعالى وإلى سنة رسوله #!!

أضرار الربا الشرعية:

1 - الربا من معاملات اليهود والمشركون:

كان من أعظم أمور الجاهلية، وتعاملاتهم المالية ممارسة الربا وكسب الأموال عن طريقه؛ ولذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن إلغاءه على مسمع من الناس في حجة الوداع حينما خطبهم فقال: "ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع. ثم قال: وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا العباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله"(1).

واليهود يتعاملون بالربا حتى كان أكلهم له سبباً من أسباب عقوبتهم كما قال الله تعالى : "فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً (160) وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً".  
{النساء: 160، 161}.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : "أي أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع الحيل وصنوف من الشبه"(2).

ولم يفارق اليهود عاداتهم القديمة؛ فأباطرة الربا في هذا العصر وملاك كبريات مؤسساته ومصارفه هم من اليهود، وهم الذين أفسدوا اقتصاد العالم، ونشروا المعاملات المحرمة، وحطموا أسعار كثير من العملات، وأفقروا كثيراً من الشعوب.

فمن تعامل بالربا فقد تشبه بأعداء الله تعالى من المشركون واليهود، وكفى بذلك إثماً وخسراناً.

2 أنه محاربة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم :

جاء الزجر عن الربا في كتاب الله تعالى عنيفاً شديداً؛ إذ هو من الذنوب العظام القلائل (3) التي وصف اقترافها بمحاربة الله ورسوله.

وإذا كان قطاع الطريق يحاربون الله تعالى بإشهار السلاح، وإزهاق الأرواح، واغتصاب الأموال، وترويع الأمنين، وقطع السبيل؛ فإن أكلة الربا يحاربون الله تعالى بدمار المجتمعات، والإفساد في الأموال مما يؤدي إلى الفساد في الأرض، وتوسيع الهوة بين الطبقات مما يلزم منه حدوث الجرائم وكثرة الخوف، وقلة الأمن.

إن أكلة الربا لا يرفعون السلاح كما يرفعه قطاع الطريق، ولا يأخذون المال عنوة؛

**ولكنهم يمتصون دماء الفقراء وهم يبتسمون لهم!! وينتهبون أموال الناس وهم يربتون على أكتافهم!!) إنها محاربة ماثلت في بشاعتها محاربة قطاع الطريق؛ ولكنها أوسع نطاقاً، وأكثر تنظيماً ومخادعة؛ ففاقت في انتشارها وقبحها رفع السلاح وانتهاب**

**الأموال بالقوة؛ وقد قال الله تعالى محذراً منها: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**

وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين" 278 فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون" {البقرة: 278، 279}.

وويل ثم ويل لمن حارب الله تعالى وهو يمشي على أرضه، ويأكل رزقه، وينعم بفضله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب" (1). وعنه رضي الله عنه قوله في معنى الآية: "فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله" (2).

وقال قتادة السدوسي رحمه الله تعالى: "أو عدهم الله بالقتل كما تسمعون؛ فجعلهم بهرجاً أينما ثقفوا" (3) ويرى بعض المفسرين أن هذه الآية قد أومأت إلى سوء خاتمة أكلة الربا) (4).

3 أن فيه كفوراً لنعمة المال:

لم يكتف المتعامل بالربا بما رزقه الله من مال، ولم يشكر نعمة الله تعالى به عليه؛ فأراد الزيادة ولو كانت إثماً، فكان كافراً لنعمة ربه عليه؛ فمآل ماله إلى المحق ونزع

البركة، كما قال الله تعالى : "يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم" {البقرة: 276}. قال ابن كثير رحمه الله تعالى : "أي لا يحب كفور القلب، أثيم القول والفعل، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلم آثم بأكل أموال الناس بالباطل"(1).

### الاتجار بالأعضاء البشرية :

من البساطة والعفوية الى التعقيد والتنظيم الدقيق الذي يتصف بالترتيب والاعداد الذي لم يعد محصوراً في مكان واحد ولا في مدينة واحدة ولا في دولة واحدة ليصبح تنظيم الجريمة ذا بعد دولي وذا مصالح متنوعة لمجموعة من الافراد والمنظمات او مصالح العصابات فنشا ما ندعوه (بالجريمة المنظمة). واذا كانت الجريمة المنظمة قد بدأت في ميدان المال والاقتصاد والابتزاز المالي، الا انها اليوم قد تجاوزت الى ميادين ذات ابعاد اجتماعية وسياسية كجرائم المخدرات والارهاب وجرائم الاتجار بالبشر التي يتم التخطيط لها في دولة معينة وتنفذ في دولة اخرى او اكثر. ومما لا شك فيه فان تطور وسائل الانتقال والاتصال قد ساعد على انتشار الجريمة المنظمة في معظم انحاء العالم وبقاع المعمورة ومنها المنطقة العربية. ومع التقدم المذهل الذي بلغته التكنولوجيا الطبية، اصبح انقاذ المرضى امرا متاحا، بتوفير قطع من الاعضاء البشرية بمواصفات طبية معينة، وقد نشطت عصابات الجريمة المنظمة للقيام باعمال يندى لها الضمير الانساني، من اعمال منكرة من بينها (اختطاف الاطفال) وكذلك المشردون والمجانين كي تنزع منهم الاعضاء البشرية المطلوبة بعد قتلهم، وتبيع هذه العصابات تلك القطع من اعضاء الجسم بمبالغ خيالية طائلة، كما تقوم بسرقة جنث المحكوم عليهم بالاعدام ولا يوجد من يستلمها، او سرقة الجنث بعد دفنها بقليل، ولما كان زبائن هذه التجارة الخسيسة هم من المتمكنين ماليا فقد انتبه المجتمع الدولي ومخطوطو السياسة الجنائية الى خطورة هذه العمليات وبوشر بتجريم هذه الافعال ووضع عقوبات صارمة عليها.

### أشكال جرائم المتاجرة بالاعضاء البشرية

ان التطور العلمي في مجال الطب البشري احدث قفزات نوعية بحيث يمكن انقاذ بعض المرضى بنقل او استبدال الاعضاء البشرية للذين يعانون من امراض مزمنة وقاتلة ، مثل الفشل الكلوي وامراض القلب وامراض العيون وغيرها. ومثلما هو معلوم فانه دائماً مع اي تطور علمي تنشأ جرائم مستحدثة، اما بيئة هذه الجرائم فهي البلدان الفقيرة مثل الهند، الباكستان، والبرازيل ومؤخرا الحقت بها دول عربية وافريقية. وتأخذ جرائم المتاجرة بالاعضاء البشرية احد الاشكال الآتية :-

المظهر الاول: هو قيام شبكات متخصصة بتوفير الاعضاء البشرية بالتعاون مع مستشفيات خاصة، ويتم الاعلان عن ذلك تحت عنوان التبرع مقابل مبالغ مالية، وتختلف اسعار الاعضاء البشرية من بلد الى آخر .

المظهر الثاني: يتمثل باختطاف الاطفال واستئصال بعض الاعضاء منهم مثل سرقة العيون والكلى، ونقل هذه الاعضاء وبيعها للمستشفيات التي تدير مثل هذه العمليات، وهذه الظاهرة لوحظت في البرازيل، حيث هنالك اكثر من اربعة ملايين طفل مشرد (حسب احصائيات هيئة الامم المتحدة).  
المظهر الثالث: اختطاف الاطفال والمشردين والمعاقين والمجانين والقيام بقتلهم ومن ثم بيع اعضاء من اجسادهم بمبالغ طائلة.

المظهر الرابع: سرقة الجثث سواء كانت جثث المحكوم عليهم بالاعدام او غيرهم ممن لا يستلمها احد من المشرحة او سرقة الجثث حال دفنها في المقبرة.

شركات وهمية للتوظيف تسرق الاعضاء البشرية للفقراء

في القاهرة اشارت الصحف المصرية مؤخرا الى ما اسمته (ازدهار سياحة موازية) تقودها مافيا اجرامية تستغل الفراغ القانوني للازدهار في بيع الاعضاء وسط اجواء من البؤس الاجتماعي. وبالرغم من انه ليست هناك ارقام محددة في هذا الشأن، لكن الفقراء في مصر يحملون ندوبا تدل على عملية جراحية لاستئصال كلية هم الآن عديدون في الاحياء الفقيرة في القاهرة حيث يجد الاثرياء العرب مصدرا جديدا للحياة. وقال رئيس نقابة الاطباء حمدي السيد لوكالة فرانس برس ان المريض الخليجي يدفع ثمانين الف دولار في الحالة ليستفيد منها الاطباء والمتبرع والسماسة وهذا وضع سييء وخطير". لكن ليس جميع هؤلاء متطوعين. فعبد الحميد عبد الحميد (29 عاما) واحمد ابراهيم (43 عاما) واشرف زكريا (30 عاما)، فقد كل منهم كلية خلال بحثهم عن وظيفة. وقال هؤلاء الشبان لصحيفة "المصري اليوم" المستقلة ان وسيطا وعدهم بوظائف في الخليج شرط ان يخضعوا الى فحص طبي. لكن الطبيب "اكتشف" ان كلا منهم يعاني من مرض في الكلية يتطلب عملية جراحية عاجلة. وفي الصباح استفاق كل منهم وقد فقد كلية. واختفى الوسيط بينما اضطر الضحايا للصمت خوفا من عمل انتقامي. وبعد ايام ضبطت وزارة الصحة مصريا بالجرم المشهود: كان يريد بيع كلية لسعودي لقاء 3500 دولار. وكان يفترض ان يحصل المستشفى الذي اجري العملية في القاهرة على مبلغ مماثل. وبينما يباع كيلو غرام واحد من الحشيشة بمائة دولار ويواجه مهربو المخدرات مجازفة كبيرة لاجراجه من المزارع في سيناء، حسبما اكدت ادارة مكافحة المخدرات، يبدو ان تهريب الاعضاء البشرية اسهل بكثير. وازداد حمدي السيد ان "هذه المافيا تحتاج الى ردع قانوني صارم". واكد انه يحاول منذ اربعة اعوام تمرير مشروع قانون في البرلمان يجرم الطبيب بعقوبة السجن من ستة اشهر الى عشر سنوات وغرامة من عشرة آلاف الى مائة الف جنيه (1700 دولار الى 17 الف دولار).

ونشرت الصحف خبراً مماثلاً عن شاب قروي نزل القاهرة يبحث عن عمل وفي احد المقاهي ارشده الى مكتب يطلب عمالاً للكويت فراجعته وهناك طلبوا منه اجراء فحوصات طبية شاملة وصور وتحاليل على ان يتكفلوا هم - اي المكتب- بالكلفة شرط توقيعه على اوراق بيضاء تحفظ لهم حقوقهم وادخل الى المستشفى ليخرج بعد بضعة ايام ويطلبون منه العودة الى قريته للراحة والعودة بعد اسبوعين مزوداً ببعض الادوية.... وهناك شعر بالتعب ولم يعد يقوى على العمل او الحركة فراجع الطبيب ليفاجأ بان كليته قد نهبت منه، وعاد الى المقهى وتعرف على الشخص الذي ارشده الى المكتب المذكور لكنه قال له اياك وان تاتي بحركة فلديهم ايصالات امانة موقعة منك وتدخلك السجن فالطبيب ابن وزير ومدعوم، لكن الشاب لجأ الى النيابة بعدما فقد اعز مايملك... والنيابة تحقق في الموضوع .

وتحقق النيابة في مصر الآن بحادث وقع لطفلة عمرها سنتان ادخلت الى المستشفى لاستئصال كيس خلقي نشأ معها عند ولادتها وفوجئت والدتها بجرح كبير في خاصرة طفلتها وعند سؤالها الطبيب تبين انه قد تم استئصال كلية الطفلة بداعي وجود ورم خبيث فيها... وعندما سألت الام عن الكلية المستأصلة اجابها الطبيب ( رميها في الزباله)، علماً ان ثمن (كلية) الاطفال تساوي عشرة اضعاف ثمن كلية البالغين للحاجة الماسة لها من طفل بنفس السن. وتبين ان كلية الاطفال تنقل للاطفال فقط وعلى اعتبار انه من النادر وجود من يتبرع او يبيع منهم فقد لجأ الاطباء الى الخديعة وسرقة كلية الاطفال. والطفلة المنزوعة كليتها تصاب بضمور في النمو غير الامراض الاخرى كالتعب والوهن .

ويبقى السؤال اين الضمير؟ واين شرف القسم الذي اقسم عليه هؤلاء الاطباء يوم تخرجهم؟ وكيف يأمن الانسان على نفسه اذا احتاج يوماً الى مستشفى؟ سؤال كبير... لكنه يحتاج الى جواب اكبر ...  
التوصيات

- 1- المبادرة الى سن قوانين تجرم عمليات الاتجار بالاعضاء البشرية، وبخاصة تلك التي ترتكبها عصابات منظمة، او استخدام طرق احتيالية في سرقة الاعضاء البشرية.
- 2 - التنسيق بين الجهات الصحية والامنية على النطاقين المحلي والدولي، لمكافحة جرائم الاتجار بالاعضاء البشرية.
- 3 - قيام نقابات الاطباء بالتدقيق وملاحظة اقدام (البعض القليل جداً) من عديمي الضمير ممن يستغلون صفاتهم الطبية في القيام بارتكاب هذه الجرائم بدوافع الجشع المادي واتخاذ الاجراءات التأديبية بحقهم فضلاً عن الاجراءات الجزائية.
- 4 - قيام الجهات الصحية والامنية بالتوعية الصحية للمواطنين للحد من الوقوع في حبال المحتالين والمجرمين وتيسير سبل الابلاغ وحماية المخبرين.
- 5 - ان موضوع الاتجار بالاعضاء البشرية أخذ بالاتساع والانتشار في شتى انحاء العالم، لذا يتطلب عقد المؤتمرات والندوات العلمية على مستوى الطب والقانون والاجهزة الامنية، للتداول في سبل التصدي والمكافحة.

6 - لقد امتدت التجارة في ظل العولمة وتطور العلم والجريمة ووسائل التنقل والاتصال الى اعضاء الانسان، حيث باتت تباع اعضاؤه كما تباع الادوات الاحتياطية للسيارات والمكائن، وما هو قادم ينذر بالكثير من الكوارث الاخلاقية والانسانية ربما غابت وتغيب عن بال البشر.. ولكن التفكير الاجرامي الشيطاني مازال يقظا ومتطورا... ولا بد من الوقوف في وجهه... وأن الاوان للتفكير بمستقبل آمن للبشر، وللشريعة، وحماية الضعفاء من جشع الطماعين  
باحث في الشؤون القانونية والامنية